العدو الخارجي في شعر صدر الإسلام

أ.م.د. احمد حسين محمد
كلية التربية للبنات

م.م. حلا عبد الفتاح سعيد الراوي
قسم اللغة العربية
كلية التربية الأساسية
جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/٥/٢٤ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٧/١٦

ملخص البحث:

يتناول البحث دراسة العدو الخارجي في خارج الجزيرة العربية والذي يتمثل بالعدو الجماعي وله حالات منها جيش العدو ، قتلى العدو ، مصير قتلى العدو ، هزيمة العدو وغيرها ثم العدو الفردي المتمثل بقتل قادة العدو وهزيمتهم وفي هذا التقسيم استطعنا أن نعالج الموضوعات التي وصف بها العدو على الرغم من تداخل كثير منها في هذه الأشعار فالقطعة الشعرية الواحدة ، أو القصيدة الواحدة قد تعالج أكثر من حالة من حالات العدو مثلاً قتلى العدو – فرار العدو – أسر العدو - ولكن رغبة منا في معالجة هذه الموضوعات منفردة كي لا تضيع من خلال الموضوعات الأخرى ، خاصة إذا تمت معالجة قصيدة أو قطعة شعرية بصورة كاملة على الرغم من أن أغلب الأشعار التي وردت جاءت على شكل قطع شعرية .

بحث مستل من رسالة الماجستير للباحث الثاني

Foreign Enemy in the Poetry of Mod Islam

Asst. proof. Dr. Ahmed H. M. **Assist. Lect. Hala A. S. AL.Rawi**
Arabic Language Department
College of Education for females **College of Basic Education**
Mosul University

Abstract:

The current research tackles the question of foreign enemy outside Arabian Peninsula represented by collective enemy with certain cases like the army, the killings, their fate, surrender of enemy etc. The research also deals with individual enemy represented by leaders of the enemy army and their defeat. By this division, the researchers handled the subjects describing enemy despite their overlap in these verses. The single verse or poem may tackle more than one case of the enemy such as his dead bodies, escape and captivity .Thus the researchers desired to tackle these subjects independently in order not to be vanished among the

other subject. This is so, especially when treating these verses as a whole despite the fact that most of the verses mentioned are dealt with as poems.

المقدمة:

بعد أن استتب الأمن داخل بلاد الجزيرة العربية لدولة الإسلام ، وإخماد حركة الـردة، توجهت الأنظار خارج بلاد الجزيرة تحقيقاً لأهداف الإسلام ولرسالته الخالدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١] وعملاً بتوجيه الرسول (ﷺ) عندما أرسل الرسل إلى الأمم المجاورة يدعوهم إلى الدين الجديد، حتى إن الرسول (ﷺ) في أواخر أيامه أعد حملات الجهاد في سبيل الله للفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية ، ومن ثم استجاب المسلمون لهذه الدعوة وانسابوا في الأرض صوب العراق والشام ومصر ومكن الله لهم من فتح هذه البلاد ونشر رسالة الإسلام فيها .[٢]فقد قضوا على دولة الفرس في الشرق واستولوا على أهم ولايتين لدولة الروم في الشمال والغرب وهما الشام ومصر .[٣]وكما رافق الشعر الفتوحات الإسلامية داخل الجزيرة العربية في حروبهم مع المشركين ، فقد رافق الشعر أيضا فتوحات الجهاد خارج الجزيرة العربية ، إلا أن هذا الشعر قليل قياساً إلى ما قيل من شعر في الحروب الداخلية ، فقد جاء على شكل قصائد ومقطعات قصيرة، ذلك انه قيل خلال الحروب والمعارك ، وان العرب المسلمين واجهوا أقواماً لا تفقه العربية لذلك لم يسمعوا من هذه الأقوام رداً على ما قالوا من شعر في وصف العدو وأحوال الحرب وغيرها من الأمور ، فضلاً عن ضياع كثير من هذا الشعر مع ما ضاع من التراث الخالد ، ولمع في شعر الفتوحات الخارجية شعراء بارزون أمثال أبي محجن الثقفي، وعمرو بن معد يكرب ، والقعقاع بن عمرو ، وغيرهم الذين قالوا بعض القصائد أثناء المعارك أو بعدها .وهؤلاء جميعاً وقفوا بوجه العدو وصوروا انتصارات المسلمين وأحوال العدو وهزائمهم وقتلاهم وأسراهم وطبيعة أرضهم وكل ما يتعلق بهم وسوف نتناول حالات العدو الجماعية والفردية

أ ـ العدو الجماعي

١ـ قتلى العدو :

جرت معارك طاحنة بين جيوش المسلمين والأعداء ، شارك فيها ألاف المقاتلين من الطرفين ، وخلفت أعداداً كبيرة من القتلى، لذلك أسهم الشعراء في نقل صور قتلى العدو وهم

---

١ - سورة سبأ : الآية ٢٨ .

٢ - دراسات في الأدب العربي ، باقر عبد الغني ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٣-٨٤ .

٣ - تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ،شوقي ضيف ، ص ٦٢ .

ملقون على الأرض مبعثرين مقطعي الأعضاء ،قد بقوا في ساحة المعركة وحيدين تركهم أصحابهم ،بعدما يئسوا من مواصلة القتال ضد جيش المسلمين ، فقد صور القعقاع بن عمرو صورة أشلاء القتلى من العدو في (وادي خُرّد)[١] إذ أصبحوا طعاماً للذئاب يقول:

وأشلاؤهُمْ في وادي خُرّدٍ مقيمةٌ تنوبُهُمْ عِيسُ الذئابِ العواسلِ [٢]

وفي موضع آخر يعدد الشاعر فعل المسلمين بأعدائهم الفرس (يوم نهاوند)[٣] عندما ملئت الشعاب بالقتلى من الرجال مع خيولهم يقول :

ملأنا شِعاباً في نهاوند منهمُ رجالاً وخيلاً أضرمَتْ بالضرائمِ [٤]

ويأخذ شعر الفتوحات منحى جديداً إذ أصبح مرآة يصور فيها قوة جيش العدو من الفرس فقد شبههم الشاعر بآساد النهار لشجاعتهم – وسنأتي إليها فيما بعد – وكانت تلك الملاقاة في(أليس وأمغى) [٥] ولكن شجاعة المسلمين كانت أقوى ، وبأسهم كان أشد من خلالها صَور الشعراء عظمة الانتصار الذي حققه المسلمون على عدوهم .[٦]، فقد قتل منهم المسلمون أعداداً هائلة عدا من فرّ ، يقول ذلك أبو مفرز الأسود بن قبطة[٧] :

قتلنا مِنْهُمُ سبعين ألفـــــــاً بقية حربهم غبُّ الاسـارِ

سوى مَنْ ليسَ يُحصى مِنْ قتيلٍ وَمَنْ قَدْ غالَ جُوَلانُ الغُبارِ [٨]

يعلن الشاعر بأنهم قتلوا سبعين ألفاً عدا من أختفى تحت غبار المعركة .وكما أشاد الشعراء ببطولات المجاهدين خلال هذه الملاحم ، وما فيها من إقدام وبسالة وصور رائعة

---

[١] -وادي خُرد : واد قرب نهاوند كانت فيه موقعة تردّى فيها العجم فإذا وقع احدهم فيها قال وايه خُرد فسميت بهذا الاسم ، (معجم البلدان ، ياقوت الحموي ،بيروت ، ١٩٧٥، م٥ ، ص٣٥٦).

[٢] - شعراء إسلاميون ، د . نوري حمودي القيسي ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٤٦ .

[٣] -نهاوند : مدينة عظيمة على طريق همذان ويقال أنها من بناء نوح عليه السلام، (معجم البلدان ، م ٥ ،ص ٣١٣) .

[٤] -شعراء إسلاميون ، ص ٤٨ .

[٥] - أليس : موضع في بادية العراق كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس، (معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٤٨)،أمغيشيا: قريبة من أليس التقى فيها جيش خالد بالفرس وانكسروا فيها ، (معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٥٤).

[٦] - الحياة والموت في شعر صدر الإسلام ، نهى محمد عمر الدليمي ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٨.

[٧] -الأسود بن قطبة : (صحابي وشاعر إسلامي شهد فتح مكة وله في ذلك أشعار كثيرة وهو رسول سعد بن أبي وقاص بسبي جلولاء إلى عمر وهو شاعر المسلمين في تلك الأيام) ، (ينظر شعراء إسلاميون ، ص ١١٢-١١٣) .

[٨] - شعراء إسلاميون ، ص ١٢٢.

للتضحية ، فقد صوروا أيضاً قسوة المعارك وضراوة القتال وشدة اللقاء. [١] ، من ذلك قول خليد بن المنذر في معركة (طاووس) في أطراف فارس ، حيث أشاد فيها بشجاعة المسلمين وبسالتهم ضد عدوٍّ قويٍّ ، لكن الله سبحانه وتعالى ناصر المؤمنين الذين يجاهدون في سبيل دينه عندما أطاحوا بجموع العدو واخذوا يتساقطون من قمم الجبال العالية ، يقول :

بطاؤوس ناهبنا الملوك وخيلُنـــــا عشيةَ شهراكٍ علوْن الرواسيـا
أطاحت جموع الفرس من رأس حالقٍ تراه كموَّارِ السحاب مُناغيـــا
فلا يبعدنَّ اللهُ قوماً تتابعـــــوا فقد خضبوا ، يوم اللقاء العواليا [٢]

ويحاول اوس بن بجير الطائي أن ينقل صورة شراسة المعركة وكيف ان سيوف المسلمين تقطع رقاب الأعداء وأذرعهم ،هناك يتمنى الشاعر لو أن الخليفة يرى فعل الأبطال، ثم يعود فيستذكر آيات من القرآن الكريم يوضح فيها فشل الكفار وخسرانهم في الدنيا والآخرة يقول :

ليت أبا بكر يرى من سيوفنا وما تجتلى من أذرع ورقابِ
ألم تر أن الله لا ربَّ غيـره يَصُبُّ على الكفار سوط عذابِ [٣]

وبين عروة بن زيد الخيل انتصارات المثنى بن حارثة الشيباني في العراق وبلاد فارس الذي تقدم نحو الأعداء فانهزم جند مهران وأتباعه أمامه وقتل من القوم أعداداً كثيرة ، فالعدو متفرق الشمل ، بينما المسلمون متوحدون تحت راية قائدهم يقول :

هَاجَتْ لِعُرْوَةَ دَارُ الحَيِّ أَحزَانـــا واسْتَبْدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ القيسِ هَمذَانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمـــع إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانـــا
أيام سار المثنى بالجنود لهـــم فقتل القوم من رجل وركبانـــا
سما لأجناد مهران وشيعتـــه حتى أبادهم مثنى ووحدانـــا
ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى مثل المثنى الذي من آل شيبانا [٤]

وبعد فتح دمشق عاد المسلمون إلى فحل(الذي قُتل فيه ثمانون ألفاً من الروم ، وكان بعد فتح دمشق في عام واحد) [٥] وعندها التقى المسلمون بآلاف من الروم مدججين بالسلاح

---

١ - الأدب في عهد النبوة والراشدين ، صلاح الدين الهادي ، ط ٣ ، ١٩٨٧ ، القاهرة ، ص ٣٠٧.

٢ - تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج٤ ، ص ٨١ .

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٢٨ هـ ، ج ١ ، ص ١١٤.

٤ - الأخبار الطوال ، أبو حنيفة الدينوري ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، ط ١ ، القاهرة ،١٩٦٠ ، ص ١١٥ .

٥ - معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٣٧ .

بالسلاح لكن جيش المسلمين انتصر عليهم انتصاراً مبيناً فقتل منهم أعداداً كثيرة وأصبحوا تحت سنابك الخيل وأعداد القتلى تزداد والحرب تشتد يقول القعقاع بن عمرو:

وغداةَ فِحْلٍ قد رأوني معلماً والخيلُ تَنْحِطُ والبلا أطوارُ

ما زالت الخيلُ العرابُ تدوسُهُم في حومِ فِحْلٍ والهبا موّارُ [١]

هذه الحالة تطرق إليها علقمة بن الإرث العبسي ، عندما وصف تنكيل المسلمين بجيش الروم، مع بيان حال نسائهم بعد قتل أزواجهم ، فقد كان الطلاق بسبب الرماح التي قتلت أزواجهن وفرقت بينهم ، هؤلاء القتلى مقطوعة الأشلاء منهم قتيل مقطوع اليد وثان مقطوع الساق وغير ذلك يقول :

ونحن قفلنا كل واف سبيله من الروم معروف النجاد منطق

ونحن طَلَقْنا بالرماح نساءهم وأُبنا إلى أزواجنا لم تطلّق

وكم من قتيل أرهفته سيوفنا كفاحاً وكف قد أطيحت وأسوق[٢]

وفي معركة القادسية يقول عمرو بن معد يكرب وهو في ساحة المعركة أبياتاً يصور فيها قتلى الأعداء الذين يتساقطون من حوله بفعل ضرباته وضربات أصحابه فيرتجز قائلاً:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون

يا آل زُبَيْدٍ إنهم يموتون [٣]

وحدث أن اجتمع الفرس والروم على ملاقاة المسلمين (بالفراض) [٤] عندها أشار القعقاع إلى هذا الحلف المقيت وإبادة المسلمين لهم بقيادة خالد فقد أبيدوا ومن بقي منهم أصبحوا كالغنم المطيعة تريد الراعي فقط وهي صورة تشبيهية بصرية تدل على انقياد العدو للمسلمين يقول :

لقينا بالفراض جموعَ رومٍ وفُرْسٍ غَمَّها طولُ السلامِ

أبَدْنا جَمْعَهُم لما ألتقينا وَبيَّتنا بجمع بني رِزام

فما فَتِئَتْ جنودُ السِّلْمِ حتى رأينا القَومَ كالغنمِ السَّوامِ [٥]

وفي كل الحروب والمعارك التي جرت بين المسلمين وأعدائهم داخلية كانت أم خارجية كانت أعداد جيش العدو أضعاف جيش المسلمين ولكن الحسم والنصر النهائي كان للمسلمين وقتلى العدو لا يحصى، هذا ما أشار إليها القعقاع شاكراً بالنصر على العدو يقول:

---

[١] - شعراء إسلاميون ، ص ٣٥ .

[٢] - الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ١١٠ .

[٣] - شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، جمعه وحققه مطاع الطرابيشي ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص ١٧٤ .

[٤] - الفراض :تقع في تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات، (معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٨٩٤) .

[٥] - شعراء إسلاميون ، ص ٤٩ .

نحن قَتَلْنَا معشراً وزائِـــدا
أربعةً وخمســةً وواحِـــدا
تحسبُ فوقَ اللُّبد الأســاوِدا
حتَّى إذا ماتوا دعوتُ جاهِـدا
الله ربِّي واحترَزْتُ عَامِـــــدا (١)

وفي غزوة خالد بدومة الجندل يذكر عاصم بن عمرو التميمي أعداد القتلى الذين تركوا في ساحة المعركة والخيل تنوبهم ، ثم أصبحوا فيما بعد فريسة للسباع تنهش فيهم كيفما تشاء، هؤلاء القتلى هم أعداء الإسلام،لذلك عرضهم الشاعر بهذه الصورة البائسة وهو فرح بهزيمة العدو يقول:

شفى النفس قتلى بين روضةِ سَلْهب ... وغَرَّهُمُ فيما أرادَ المُنَجَّـــــبُ
وجُدْنا لجوديٍّ بضربةِ ثائـــــــــر ... وللجمعِ بالسُّمِّ الذُّعافِ المقنَّـــبِ
تركناهُمُ صرعى لخيلٍ تنوبُهُـــــــم ... تنافسهم فيها سباعُ المرصَّـــبِ (٢)

هذه الفتوحات التي استمرت شرقاً وغرباً نقل فيها الــشعراء صــورة حقيقيــة لتلــك المعارك، ذلك أنهم شاركوا فيها ، مثال ذلك قول أبي محمد نافع بن الأسود التميمــي عنــدما صور لنا قتل بني بهرام الذين غدروا وعصوا ما أُمروا به فلم تنفعهم كــل وســائل الغــدر والعصيان في القمم العالية إلا الاستسلام ولولا ذلك لأقفرت بلادهم ، لذلك جاؤوا إلى طريــق الصواب بعدما عانوا من ضراوة الحرب وشدتها ، يقول في إحدى المعارك التي جرت فــي بلاد الري:

قتلنا بني بهرام لمّا تتابعـــوا ... على أمر غاويهم وغاب المُســوّرُ
وبالسفح موق لا تطير نسورها ... لها في سواد السفحِ مثوى ومحشرُ
ولولا اتقاء القوم بالسلم أقفرت ... بلادهم أو يهربون فَيُعـــــــذَروا
خلفناهم بالري والري منـــزلُ ... له جانب صعب هنالك مَعْـــــورُ (٣)

هذه الصور أحياناً تتشابه على الرغم من اختلاف المعارك واختلاف مواقعها مثــال ذلك ما نقله القعقاع من قتلى العدو :

ولم أرَ قوماً مثل قوم رأيتُهم ... على ولَجات البرِّ أحمى وأَنْجَبَا
واقتل المرَّواس في كلِّ مجمعٍ ... إذا ضَغْضَعَ الدَّهُر الجموعَ وكَبْكَبَا

---

١ - م.ن، ص ٣٢ -٣٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ٥٦٢

٢ - شعراء إسلاميون ،ص ٥٦ -٥٧ ، وفي البيت الأول إقواء .

٣ - م .ن ، ص ٩٥ .

فنحن حَبَسْنا بالزمازم بَعْدَمــا أقاموا لنا في عرصةِ الدارِ تُرتَبا
قتلناهُمُ مابين قَلعِ مطلـــــق إلى القَيعةِ الغبراءِ يوماً مُطَنَّبَا (١)

وفي موضع أخر يكرر القول نفسه بطريقة أخرى عندما يصور قتلى الروم التي امتلأت الشعاب بجثثهم وقد أشعلت النيران في أراضيهم يقول :

قتلناهم حتى ملأنا شعابَهُمْ وقد أُفعم اللهبُ الذي بالصرائمِ (٢)

هذه الحالة كررها غيره من الشعراء مثاله قول أبي نجيد نافع بن الأسود عندما أشار إلى المعركة التي جرت في وادي خرّد وان العدو جميعهم قتلوا وسقطوا في ذلك الوادي ،هذه المعركة الحاسمة التي تردد ذكرها كثيراً لدى الشعراء:

على أننا لم نُبق فيهم بقّية غداة هَووْا في وادي خُرّدٍ كمينا (٣)

هذه الصور والوقائع التي أشار إليها الشعراء تظهر شدة الحروب وأعداد القتلى ، وتظهر بسالة الفرسان من المسلمين، كما أنها تعطي للعدو إشارة إلى أن كل محاولة أخرى منهم هي في يباب وخسران، والأفضل للعدو أن يجنح إلى السلم فلا فائدة من هذه الحروب الخاسرة من العدو هذا ما أشار عليه القران الكريم : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤)

٢ـ هزيمة العدو :

كان النصر حليف جيش المسلمين في معظم الحروب التي خاضها ضد العدو الكافر ، واستطاع الشعراء أن يبهروا عدوهم بما حققوه من انتصارات على المستويين الداخلي والخارجي، وكانت الدولة العربية الإسلامية تنمو بسرعة لكي تصبح القوة العظمى في المنطقة، ومن خلال الهزائم التي ألحقها المسلمون بالعدو صور الشعراء تلك المواقف وبينوا هزيمة العدو في الشرق والغرب والشمال ، على الرغم من الاستعداد التام لجيش العدو وكثرته وقوته .(٥)

---

١ - م .ن ، ص ٣٠-٣١ .

٢ - م.ن، ص ٤٧ .

٣ - شعراء إسلاميون ، ص ١٠٦ .

٤ - سورة الأنفال ، الآية ٦١ .

٥ - صورة العدو الإفرنجي في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري - فواز احمد محمد صالح الطائي، رسالة ماجستير ، بإشراف المدرس الدكتور يونس طركي سلوم البجاري ،جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٢، ص ١٠٤ -١٠٥ .

فقد بين بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي في موقعة القادسية هزيمة الفرس من المعركة، هؤلاء الأعداء الذين ضاقت بهم السبل وتمنى كل واحد منهم أن يستعير جناح طائر ليهرب بعيداً عن الحرب يقول :

تذكر هداك الله وقع سيوفنا ببابِ قديسٍ والمكرّ عسيرُ
عشية ودَّ القوم لو أنّ بعضهم يعار جناحي طائرٍ فيطيرُ [١]

هذه الهزائم التي أبدع الشعراء في رسم صورتها ، تبين استعداد العدو للحرب وأخذه بكل الأسباب ، لكن الفشل كان نصيبهم ، ذلك أن النصر من عند الله ، وبقوة جنده المؤمنين بالنصر أو الشهادة في سبيل الله ، فقد صور نعيم بن مقرن استعداد الروم والفرس وتعاونهم لملاقاة جيش المسلمين في (واج الروذ) عندما أخذتهم العزة بكثرتهم ، ولكن في ساعة الحسم لم يصمدوا في وجه جيش المسلمين لذلك فروا هاربين جماعات جماعات كالأغنام متمنين أن يجدوا منفذاً في الأرض لينجوا من الحرب يقول :

لَمَا أَتَاني أن مَوْثاً وَرَهْطَـــــــهُ بني باسِل جرُّوا خُيولَ الأعاجِمِ [٢]
صَدمْنَاهُمْ في وَاجِ رَوْذٍ بجمعنـــا غَداةَ رَميْنَاهُمْ بإحدى العظائـم
فما صَبرُوا في حَوْمةِ الموتِ سَاعَةً لِحَدِّ الرِّماحِ والسُّيوفِ الصوارِمِ
أَصَبْنَا بها مَوْثاً ومَنْ لَفَّ لفَّـــــهُ وَفِيها نِهابٌ قَسْمُه غيرُ غانِـمِ
كأنهم فِي واجِ رَوذٍ وجـــــــرِّه ضئين اغانَتْها فُرُوجُ المخـارِمِ [٣]

وفي معركة نهاوند يشير عروة بن زيد الخيل إلى ضرب جموع الفرس وصموده في وجههم مستخدماً كل وسيلة وسلاح حتى ولوا هاربين من المعركة يقول :

ولَمَّا دَعَوْا يا عُروةَ بن مُهلهلٍ ضَرَبتُ جُمُوعَ الفُرْس حَتَّى تولَّتِ
دَفعتُ عليهم رحلتي وفوارسي وَجَرَّدتُ سَيفي فيهمُ ثُمَّ أَلَّتِـــــي [٤]

وفي الحروب التي كانت تُجرى قديماً ، تبقى النساء خلف الجموع المحاربة ليشدوا فيهم العزيمة على القتال ، وليردوا الهاربين عن المعركة إليها ثانية ، ففي معركة القادسية هُزِمَ

---

[١] - فتوح البلدان ، احمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري ،نشره ووضع ملاحقه وفهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة، ١٩٥٧، ق ٢ ، ص ٣٢١ .

[٢] - في معجم البلدان خيول الأعاجم م ٥ ، ص ٣٤١ ، وفي تاريخ الرسل والملوك جنود الأعاجم ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .

[٣] - تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ،ومعجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٤١ ، واج روذ : موضع بين همذان وقزوين كانت فيه وقعة للمسلمين سنة ٢٩ مع الفرس والديلم يقال له موثا ،وكانت وقعة شديدة تعدل وقعة نهاوند فانتصر المسلمون وكان اميرهم نعيم بن مقرن .

[٤] - الأخبار الطوال ، ص ١٣٨ .

الفرس من المعركة فرأت إحدى النساء أبا محجن راجعاً ، فظنت أنه قد هزم، فقالت له تعيرَه بالفرار وإنه إذا فرَّ الرجال فينبغي أن تقاتل النساء عنهم فقالت :

من فارسٌ كَرِهَ الطّعانَ يُعيرُني فرساً إذا نزلوا بمرجِ الصُفَّرِ

عند ذاك ردّ عليها أبو محجن وأراد أن يبين لها حقيقة الأمر فقال :

إنّ الكرامَ على الجياد مَقيلُهم فذَري الجيادَ لأهلها وتَعَطَّري (١)

وهذه إشارة إلى عدم فراره ، وهي كناية عن ولع الفرسان بالجياد ومقاتلة الأعداء، وعلى تلك المرأة أن تتعطر بدلاً من تمني المنازلة وطلب الجياد.

لذلك صور الشعراء الفرسان هرب العدو وترك أماكنهم ، وقد صور لنا عاصم بن عمرو التميمي فرار جنود كسرى وهم يعبرون نهر دجلة فارين خائفين إذ ذهبوا بعيداً يتمنون السلامة من جيوش المسلمين يقول :

ألا هل أتاها أنَّ دجلةَ ذللـــــتْ على ساعةٍ فيها القلوبُ تُقَلَّبُ
تراها عليه حينَ حبَّ حُبابُهـــا تَبارى إذا جاشَتْ بموجٍ تضرّبُ
نَعَيْنا بها كسرى عن الدارِ فأنثوى لأبعد ما يُنهي الركيكُ المرقَّبُ (٢)

ومن خلال هذه الأشعار تبين لنا أن معركة القادسية كانت أكثر المعارك التي نالت اهتمام الشعراء ، لكثرة جموع المسلمين الذين شاركوا فيها ، وللفرحة العظيمة التي فرح بها المسلمون في ذلك الانتصار فقد صور أبو نجيد فرار جنود الفرس يوم القادسية بعدما عانوا من المعركة ولم يتمكنوا من الفوز فهم كلما تهيأوا للحرب وتقدموا نحو جند الإسلام كانت السيوف بوجههم فيقعون صرعى في ماء دجلة ، لذلك آثروا الهزيمة على الحرب يقول :

ونحن كففنا الفرس أيام قادسٍ بمعترك ضَنْكٍ كلفِّ السُّرادق
إذا ناهدونا رفّعَتْهُمْ سيوفنـــا إلى الماء حتى تُتّقى بالعلائق (٣)

ومعلوم أن الحرب خدعة ، وكثيراً ما يباغت العدو عدوه في الصباح الباكر ، قبل أن يستعد للحرب، هذا ما صوره أبو مفرز عندما أغاروا على أعدائهم ليلاً قبل صياح الديكة ، وهم نائمون، عندها لم يجدوا بداً من الهرب كالأرانب الخائفة من الصيد يقول :

طرقنا بالثّني بني بُجيـــر بياتاً قبل تصدية الديـــوك
فلم تترك بها إرماً وعُجْماً مع النصر المؤزر بالسهـوك

---

١ - ديوان أبو محجن الثقفي ، صنعة أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، نشر صلاح الدين المنجد ،بيروت ، ط ١ ،١٩٧٠ ،ص ٣٩ .

٢ -شعراء إسلاميون ، ص٥٦ .

٣ - م . ن ، ص ٩٨ .

إلى مَنْ بالزّميلِ وجانبيــه وطاروا حيث طاروا كالدموك [١]

وأخيراً فقد تشابهت صور الشعراء في بيان هزيمة العدو بعد فشلهم في مقاومة جيش المسلمين، عندها بدأوا يتراجعون وينسحبون خوفاً من الأسر والقتل ، وهذه الصور تكررت في معظم الأشعار مع اختلاف في التعبير حسب رؤية الشاعر والجو الذي عاشه .

٣ – مكان العدو وزمانه:

للمكان والزمان دور بارز ومهم في شعر الفتوحات الإسلامية ، ذلك أن الشعراء الذين شاركوا في هذه الفتوحات نقلوا لنا انطباعاتهم عن تلك الأماكن وصوروها في شعرهم، وهي في كثير من الأحيان تختلف عن الأماكن التي عاشها الشاعر ، من حيث الجو والتضاريس والطبائع وغيرها من المظاهر ،فقد صور قيس بن مكشوح الفارس المسلم تنقلاته على فرسه من بلاد اليمن حتى وادي القرى ثم اليرموك في بلاد الشام وأخيراً القادسية بعد شهر من الزمن دلالة على سرعة المسير ومقاتلة جموع الفرس واقتحام صفوف العدو لقتل قائدهم في أبيات شعرية مفعمة بالحرارة والتوتر الداخلي .[٢] يقول :

جلبتُ الخيل من صنعاءَ تردى بكُلِّ مدَجّج كاللّيثِ سَـــامِ
إلى وادي القُرى فَديارِ كلبٍ إلى اليرمُوكِ فالبَلد الشَامِي
وجئنا القادسية ، بَعْدَ شَهْرٍ مَسوّمة دوابُرهَا دَوامِـــي [٣]

وعلى طريقة قيس بن مكشوح ذكر القعقاع سير جيش المسلمين إلى أماكن العدو التي قطعها الفاتحون بخيولهم ومنها قراقر – المصيخ – بهراء وغيرها من الأماكن الوعرة لنشر الدين ومحاربة العدو الكافر يقول :

قَطَعنا أباليس البلاد بخيلنـــا نُريدُ سِوى من آبدات قُراقِـــر[٤]
فلمّا صَبَحْنا بالمُصَيَّخِ أهلَـــهُ وطارَ إباري كالطيورِ النوافـــرِ[٥]
أفاقت بها بهراءَ ثم تجاسَرَتْ بنا العيسُ نحو الأعجميّ القُراقِرِ [٦]

---

[١] - م.ن، ص ١٢٢.

[٢] - الحياة والموت في موضوعات الشعر العربي، ص ٣٨ .

[٣] - فتوح البلدان ، ق ٢ ،ص ٣٢٠ .

[٤] - قُراقر : هو علم مرتجل لاسم موضع في بلاد الشام ،(معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣١٧).

[٥] - المصيخ : ماء بالشام ورده خالد بن الوليد يقع في منطقة القُصْواني ، (معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١٤٤).

[٦] -شعراء إسلاميون ، ص ٣٩ .

ومثله صور أبو مفرز الأماكن التي تم فتحها من قبل جيوش المسلمين بعد القادسية يقول:

فَللنا حركم بلوى قديس ولم تَسْلَمَ هنالك بهرسير
فتحتُ البهرسير بإذن ربي واعدتني على ذاك الأمور [١]

ووصف الشعراء الزمن الذي حدثت فيه المعارك وهو من العناصر التي أضيفت إلى شعر الفتوح، فقد وصف المسلمون الطبيعة التي وجدوا أنفسهم في أحضانها، كما وصفوا الظروف غير المعتادة التي عاشوها في تلك المناطق التي تختلف عن مناطقهم، فقد اعتاد أهل الجزيرة العربية على حياة خاصة ولكنهم لم يعتادوا الحياة في المناطق الجبلية الباردة والثلوج المتراكمة ، لذلك وجدنا الشاعر مالك بن الريب يطلب من قائده الانسحاب من مدينة (الترمذ) ليس خوفاً من الحرب بل لبرودة الجو فهو وأصحابه معه لا يطيقوا البرد الشديد والثلج في زمن تزيد الريح حدته .[٢] فلا يستطيع مقاتلة الثلوج والبرد يقول:

هَبّتْ شمالٌ خَرِيفٌ أسقطتْ وَرَقاً واصفرّ بالقاع بعد الخُضرَةِ الشّيحُ
فارحل هُديتَ ولا تجعل غنيمتنا ثلجاً يُصفقه بالتّرمِذِ الريحُ [٣]
ان الشتاء عدو ما نقاتله فأقفل هديت وثوب الدفْءِ مطروح [٤]

في حين تذكر الشماخ بن ضرار أهله وهو في أذربيجان بعيداً عن موطنه، ولكن الجهاد والدفاع في سبيل الإسلام كان الدافع لتلك الغربة يقول :

تَذَكَرْتُها وَهْناً وَقَدْ حَالَ دُونَها قُرى أذربيجانَ المَسَالِحِ والجَالِي [٥]

"ولم تقتصر مضامين شعر الفتوحات على وصف الحروب والمعارك التي كانت تدور بين جيوش المسلمين وبين أعدائهم ، بل تضمنت أيضاً تلك المدن التي فتحت وطبيعتها ومظاهر الحياة فيها ، حيث أن العرب قد اعتادوا على بيئة وحياة تختلف عن هذه المدن مما أثار دهشتهم تلك المناظر الجميلة والقصور الرائعة" [٦] من ذلك قول القعقاع بن عمرو واصفاً

---

[١] -م .ن ، ص ١٢٠ .

[٢] -الامالي في الأدب الإسلامي ، ابتسام مرهون الصفار ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ١٥٧ .

[٣] - ترمذ : مدينة مشهورة من أُمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ، (معجم البلدان ، م ٢، ص ٢٦) .

[٤] -فتوح البلدان ، ق ٣ ، ص ٥٠٨ .

[٥] - ديوان الشماخ بن ضرار ،تحقيق صلاح الدين الهادي ، مصر ، ١٩٦٨، ص ٤٥٦ .

[٦] - الحياة والموت في موضوعات الشعر العربي ، ص ٤٢ .

الحيرة وقصورها الجميلة ، لكن أهلها لم يصمدوا في الدفاع عنها ، فانسحبوا منها وتركوها جبناً وخوفاً ، يقول :

ويومَ أَحطنا بالقُصور تَتَابَعَـــتْ على الحيرةِ الرّوحاء إحدى المصارفِ
حططناهُمُ مِنها ، وقد كاد عرشهم يَميلُ بهم ، فِعْلَ الجَبَانِ المُخَالِـــــفِ [1]

ويصف احد الفاتحين برودة الجو في مدينة مرو ، ويعجب لتنكر الأرض التي تتابع ثلجها، ويشفق على أهلها الذين يقضون الشتاء مقرورين دائماً محتمين بأثواب سميكة، يدسّون أيديهم فيها لشدة البرد، كأنهم أسرى . [2] يقول :

وأرى بمرو الشاهجان تنكـرت ارضٌ تتابع ثلجها المذرورُ
إذ لا ترى ذا بزة مشهـــــورة الا تخال كأنه مقـــــرورُ
كلتا يديه لا تزايلُ ثوبـــــــه كل الشتاء كأنه مأســـورُ [3]

في حين شبه عاصم بن عمرو تلك القصور تشبيهاً غريباً ، حيث شـبهها بأضـراس الكلاب وهي صورة مستمدة من الطبيعة التي يعيشها الشاعر ، فالقصور هذه بعضها مرتفعة والأخرى اقل منها ، لذلك جاء تشبيهه على هذه الصورة حيث قال :

صَبَحْنا الحِيرة الرّوحاء خَيلاً ورجلاً فوقَ أثباجِ الرّكاب
حَضَرنا نَواحيها قُصـــوراً مُشَرَّعة كأضراسِ الكلابِ [4]

ويذكر القعقاع الأيام التي فتح بها المسلمون الأماكن البعيدة عن ارض الجزيرة العربية، ومنها "يوم فحل" [5] يقول :

كم من أبٍ لي قد وَرَثْتُ فعاله جَمِّ المكارمِ بحرُهُ تيَّـــارُ
وغداةَ فحلٍ قد رأَوْني معلماً والخيلُ تَنْحِطُ والبلا اطوارُ [6]

ويصف زياد بن حنظلة سقوط الشام بيد المسلمين ، مصوراً جمالها وخصبها وكثرة خيراتها فهم بين نعيم الدنيا وبين النصر الذي حققوه في سبيل الله يقول :

وأَلقت إليه الشامُ أفلاذَ بطنها وعيشاً خصيباً ما تعد مآكلـه

---

[1] -شعراء إسلاميون ، ص ٤٢ .

[2] - الامالي في الأدب الإسلامي ، ص ١٥٧ .

[3] - معجم البلدان ، م ٤ ، ص ١١٥ .

[4] - شعراء إسلاميون ، ص ٥٧ .

[5] - فحل : موضع بالشام حدثت فيه الحرب بين المسلمين و الروم، قتل فيه ثمانون ألفا من الروم وكان بعد فتح دمشق في عام واحد، (معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٣٧) .

[6] -شعراء إسلاميون ، ص ٣٥ .

أباحَ لنا ما بين شرقٍ ومغربٍ مواريث أعقابٍ بنتها قراملــه
وكم مثقَلٍ لم يَضطلع باحتماله تحمل عبئاً حينَ شالت شوائله [١]

ويذكر عاصم بن عمرو الأماكن التي سار فيها وشارك بعد ذلك فـــي الحـــروب ، فذكر تلك الأيام منها : كاظمة [٢] ، يوم السيف ، فارق يقول :

جلبنا الخيلَ من بلدٍ ببـــــابٍ إلى الآطام والبلدِ الرَّواءِ
تركن لهم بكاظمة المنايـــــا أحاديث يذوب لها الرحاءُ
فلم أَرَ مثل يوم السيف حتى رأيت الثني تخضبُهُ الدماءُ
وألْوَتْ خيلُنا لما التقينـــــا بفارق والأمور لها انتهاءُ [٣]

ويتوالى الشعر الذي قيل في وصف الأماكن التي تم فتحها شرقاً وغرباً ، يذكر فيها الشعراء بطولاتهم ودفاعهم عن الدين ونشره ، يقول الشماخ بن ضرار في وصـــف موقعـــة (موقان بأذربيجان):

لقد غادرتْ خيلٌ بموقان أسلمتْ بُكير بني الشُّدَّاخ فارس أطلالِ [٤]
فتى كان يروي سيفه وسنانه من العَلَق الآني لَدَى المُجْحَرِ التالي [٥]

وأحياناً يعجب بعض الشعراء بالمناطق التي يرونها ، فيذكرون طيب هوائهـــا وجمالهـــا وما فيها من مناظر جميلة ، يقول نافع بن الأسود بن قطبة التميمي في وصف ريف الرّي في بلاد فارس وهوائها العليل فيقول :

رضينا بريف الري والريُ بلدةٌ لها زينةٌ من عَيشِها المُتواتِرِ
لها نَشرٌ في كلِّ آخر ليلـــــةٍ تذكر أعراس الملوكِ الأكابــر [٦]

ولا ينسى الشعراءُ الأبطالُ الذين قاتلوا في تلك الأماكن البعيدة إخوانهم الشهداء الـــذين دافعوا عن الإسلام ، فهم يدعون لهم هناك بنزول المطر ، وهي دعوة قديمة للشعراء يتمنون فيها المطر والخير للأرض التي يحبونها ، تلك الأرض هي (الجوزجان) التـــي قـــدم فيهـــا الأبطال أرواحهم فداءً للإسلام يقول كثير بن الغريزة النهشلي :

---

[١] -تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٦١٣ .
[٢] - كاظمةُ : جَوٌّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، (معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٤٣١).
[٣] - شعراء إسلاميون ، ص ٥٥ .
[٤] - موقان وجيلان : وهما أهل طبرستان تقع في أذربيجان يمر القاصد إليها من أردبيل إلـــى تبريـــز فـــي الجبال، (معجم البلدان ،م ٥ ، ص ٢٢٥) .
[٥] - ديوان الشماخ بن ضرار ، ص ٤٥٦ .
[٦] -شعراء إسلاميون ، ص ٩٦ .

سقى مزن السحاب إذا استقلت مصارع فتيةٍ بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوطٍ أبادهُمُ هناك الأقرعـــان [١]

وأثناء الحروب والمعارك يتمرد بعض الأعداء في بيوتهم وقلاعهم ، ممـــا يتطلـــب قتالهم والسيطرة عليهم ، هذا ما ذكره القعقاع في سيطرته على بيوت الفرس وتتبعه للفيرزان في الماهات حيث قطع عليهم الطريق يقول:

جذعتُ على الماهات أنفَ فـــارسٍ بكل فتى من صلب فارس حاذِرِ
هتكتُ بيوتَ الفرس يوم لقيتهـــهم وما كلٌّ من يلقى الحروبَ بثائرِ
حبست ركاب الفيرزان وجمعـــــه على فتر من حرِّها غير فاتـــرِ
هدمتُ به الماهات والدربَ بغتـــةً إلى غايةِ أخرى الليالي الغوابِرِ [٢]

ونجد في تاريخ الحروب والمعارك القديمة إنها كانت تحدث في الغالب صباحاً عنـــدما يباكر احدهم عدوه ويباغته قبل استعداده ، من ذلك ما ذكره أبو نجيد عندما ذكر يوم بسطام، يقول:

فنحن لعمري غير شك قرارنا احقٌّ وأملى بالحروب وأنحبُ
أذا ما دعا داعي الصباح أجابه فوارس منها كل يوم مُجَرَّبُ
ويوم ببسطام العريضة إذ حوت شددنا لهم أوزارنا بالتلبـُّـــبِ [٣]

وعلى تلك الشاكلة يبين عاصم بن عمرو الهجوم الذي شنه علـــى جمـــوع كـــسرى صـــباحاً بالبقايس، بفرسان شجعان وخيل مسومة معروفة يقول :

صَبَحْنا بالبقايس رهطَ كسرى صَبُوحاً ليس من خَمْرِ السوادِ
صَبَحناهُمْ بكلِّ فتىً كمـــــيٍّ واجردَ سابحٍ من خيلِ عـــــادِ [٤]

---

[١] - معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٨٢ ، تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ، ص ٣١٣ ، في معجم البلدان(أبـــادهم) وفي تاريخ الرسل والملوك (أقادهم).

[٢] - شعراء إسلاميون ، ص ٣٧ .

[٣] -شعراء إسلاميون ، ص ٩٢ ، وبسطام : بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعـــد دامغـــان بمرحلتين، (معجم البلدان ، م١ ، ص ٤٢١).

[٤] - شعراء إسلاميون ، ص ٦٠ .

وشارك القعقاع في ذكر المواقع والأيام التي خاضها ضد العدو ومنها يوم نهاوند، عند اشتداد المعركة ومقاومة العدو حتى تم النصر يقول :

ونحنُ حَبَسْنا في نهاوند خَيْلَنا لشدّ ليالٍ أُنتجَتْ للأعاجـــم

فنحنُ لهم بينا وعصل سجلها غداة نهاوند لإحدى العظائم (١)

نفهم من كل ما مر أن الشعراء في ذكرهم أماكن العدو تعددت المفاهيم فيها بين فتح تلك الأماكن ومحاربة أهلها ، وبين وصف جمالها وطبيعة هوائها ، وبين ذكر الشهداء الذين استشهدوا فيها مع البطولات التي قدمها الأبطال في تلك الأماكن .

٤ – قوة العدو :

كان وصف بسالة العدو مظهراً من مظاهر شعر الفروسية في أدب ما قبل الإسلام – كما بينا سابقاً – لذلك ظهر صداه في الأدب الإسلامي في الفتوحات التي تمت خارج الجزيرة العربية، فقد حاول شعراء الفتوح أن يصفوا ضخامة جيش العدو وقوته وشبهها بعضهم بالجبال، وأما أصوات الزحف فهي أشبه ما تكون بالزفير العالي، على أن كل هذا الوصف وبيان صور قوة العدو، لم يصل في أي يوم من أيام الحروب ضد الأعداء إلى بسالة جيش المسلمين الذين استطاعوا أن ينتصروا على جيش العدو بقوتهم عدة وعدداً، لأنه كان يفتقد إلى أهم مقوم توافر في جيش المسلمين ألا وهو العقيدة الصادقة والاستبسال في القتال لنيل الشهادة أو النصر.(٢)

ذلك ما صوره لنا بشر بن ربيعة الخثعمي في وصف جيش الفرس في القادسية:

تَحِنُّ ببابِ القادسيةِ ناقتـــي وسعد بن وقاصٍ عليّ أميـــرُ

وسعدٌ أميرٌ شرُّه دون خيره طويلُ الشّذى كابي الزّنادِ قصيرُ

تذكر هداك الله وقع سيوفنـا بباب قديس والمكر عسيـــر

إذا ما فرغنا من قراع كتيبـة دلفنا لأخرى كالجبال تسيـــر

ترى القوم فيها وأجمين كأنهم جمال بأحمال لهنّ زفيـــــر (٣)

فقد شبه الشاعر كثرة جيش الأعداء بالجبال العالية هذا الجيش بضخامته وقوة أسلحته التي يحملها الفرسان وأصواتها المصاحبة في السير مع قراع السيوف ومبارزة الأبطال ما ان يبارزون كتيبة حتى تأتي الأخرى وهم في جمعهم كالجبال العالية (٤)

---

١ - م.ن ، ص ٤٧ ، الشطر الأول من البيت الثاني غامض المعنى ولعلّ فيه تحريفاً (معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣١٤).

٢ - الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص ١٥٢ .

٣ - فتوح البلدان ، ق ٢ ،ص ٣٢١ .

٤ - الامالي في الأدب الإسلامي ، ص ١٥٣ .

ويصف الأسود بن قبطة قوة جيش الفرس ، إذ شبههم بآساد النهار لشجاعتهم ، وقد أشار إلى المعركة التي حدثت في (أليس – وامغى - والمقر)، عندما أبدوا شجاعة فائقة، لكن شجاعة المسلمين كانت اشد وباسهم كان أقوى ومن خلال ذلك صور عظمة الانتصار الذي حققه المسلمون على عدوهم .[١] يقول :

لقينا يوم أليس وأمغـــى وَيَوم المقر آساد النهـــار

فلم أر مثلها فضلاتِ حربٍ أشدُّ على الجحاجحة الكبار[٢]

ويشير عاصم بن عمرو في يوم المقر إلى تصوير قوة العدو وثباته ، وشجاعة الفوارس من بني الأحرار الذين صمدوا في القتال ولم يفكروا في الهزيمة بل إنهم كروا على جيش المسلمين مرة تلو الأخرى وقد أثخنوا بالجراح لشدة العدو وباسه يقول :

ألم تَرنا غداةَ المَقر جِئنـــا بأنهارٍ وساكِنها جِهـــارا

قتلناهُم بها ثم انكفأنـــا إلى يم الفراتِ بما استجـارا

لقينا من بني الأحرارِ فيها فوارِسَ ما يريدونَ الفِـرارا

نكرُّ الخيلَ حابسةً عليهُـم ترى فينا من الطعنِ ازورارا [٣]

هذا الاعتراف بقوة العدو وإعطائه من الحق والإنصاف دعا عروة بن زيد الخيل إلى بيان قوة العدو الذين مزقوا بالرماح قباءه ، وتلقى ضربات شديدة حتى تبلل قميصه بالدم، يقول:

فما رمت حتى مزقوا برماحهم قبائي وحتى بلَّ أقمصي الدم [٤]

ويكرر وصف شجاعة العدو في معركة نهاوند ، ذلك العدو الذي أنهار عليه بخيله لكنه بقي صامداً لا يتزحزح وهذا يدل على مدى إقدام جيش المسلمين وشجاعته الذين حققوا النصر على هذا العدو الأشوس بعدته وعددهِ :

وكم من عدوٍّ أشوسٍ متمردٍ عليه بخيلي في الهياج أظلتِ [٥]

كما صور هذا الاعتراف عبد الله بن سبرة الحرشي الذي بين قوة العدو وشجاعته عندما قطع ارطبون الروم (أي قائد جند الروم) أصابع يده بضربة من سيفه ، يوم فلطاس ،

---

[١] -الأثر الحضاري في شعر صدر الإسلام، نهى محمد عمر ، جامعة الموصل ، كلية الآداب رسالة ماجستير، ١٩٩٩ ،ص ٨٠ .

[٢] - شعراء إسلاميون ، ص ١٢١ -١٢٢ .

[٣] - م.ن، ص ٦١ .

[٤] - شعراء إسلاميون ، ص ١٣٢ .

[٥] - الأخبار الطوال ، ص ١٣٨.

لكن الشاعر على الرغم من إشادته بقوة العدو لم يستسلم فلا زال في يده هذه النفع والفائدة وباستطاعته مقاومة العدو عندما تستدعي الضرورة يقول :

يمنى يدي غدت مني مفارقة ... أهون عليّ به إذ بان فانقطعا
يمشي إلى مُستميت مثله بطل ... حتى إذا أمكنا سَيفهُما إمتَصَعا
فإن يكن أرطبون الروم قطّعها ... فقد تركتُ بها أوصاله قِطَعا
وإن يكن أرطبون الروم أفسدها ... فإن فيها بحمد الله منتفَعا
بنانتين وجرْمُوزاً أقيمُ بهما ... صَدْرَ القناة إذا ما آنسوا فزعا (١)

والقعقاع ذلك الفارس الذي افتخر بقوته وشجاعته في شعره ، لا يجد غضاضة في اعترافه بقدرة عدوه وبلائه ، فقد صور شجاعتهم بأنه لم يرَ مثلهم في الحمية والشجاعة عندما تشتد المعركة ويتزاحم الفرسان ساعة الحسم ، فيقول في وصف الحرب التي حشد فيها الفرس كل قوتهم في مقاتلة جيش المسلمين بمساندة أعوانهم من بكر بن وائل (٢)

ولم أرَ قوماً مثل قوم رايتُهم ... على ولجات البرِّ أحمى وأنجبا
واقتل المرَّواس في كل مجمعٍ ... إذا ضَعْضَعَ الدَّهرُ الجموعَ وكَبْكَبَا
فَنحنُ حَبَسْنا بالزمازم بَعْدَما ... أقاموا لنا في عرصةِ الدارِ تُرتَبا
قتلناهُمُ ما بينَ قَلَعٍ مطلق ... إلى القَيْعَةِ الغبراءِ يوماً مُطَنَبا (٣)

وخلاصة القول أن الشعر العربي قديماً وحديثاً ذكر للصديق والعدو حقه وأنصفه ، وهي من الخصال الحميدة التي يجب الالتزام بها وعدم التراجع عنها.

٥ – ذل العدو :

أُلحقتْ هزائمُ منكرة بالعدو جراء الحروب والمعارك التي دارت بين المسلمين والعدو الخارجي ، هذه الهزائم كسرت شوكة العدو فاخذ يميل إلى الذل والمسكنة والطاعة بعد ان كان يباهي المسلمين ويفاخر بقوته وجيشه ، حاول الشعراء نقل هذه الصور التي تبين ذل العدو وانكساره وطاعته بعد الحرب أو قبله ، فقد بين القعقاع بن عمرو ذل العدو عندما قاتل غساناً وأعمل فيهم السيف بعدما جدعت الحرب أنوفهم يقول في اليرموك :

بدأنا بجمع الصُّفَّرَيْنِ فلم نَدَعْ ... لَغَسّانَ أنفاً فوقَ تلكَ المناخِرِ
صبيحةَ صباحَ الحارثانِ ومَنْ بِه ... سوى نَفَرٍ نجتَّذُهُمْ بالبواتِرِ (٤)

---

١ - الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٩٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٦١٢.

٢ -شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، النعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣٢ .

٣ - شعراء إسلاميون ، ص ٣٠ - ٣١ .

٤ - شعراء إسلاميون ، ص٣٨ .

في حين صور عاصم بن عمرو ذل العدو بعد انتصاره عليهم ومسيره في أرضهم دون خوف أو تردد ، وقد كان حراماً عليهم ذلك ، دلالة على استسلام العدو وانكساره يقول في حربه ومسيره في بلاد العدو:

ضربنا حُماةَ النِّرْسيان بكَسْكر غداةَ لقيناهم ببيضٍ بواتِرِ [١]

وفزنا على الأيام والحرب لاقحٌ بجردٍ حسانٍ أو بُرودٍ غرائرِ

وظلت قلالُ النِّرْسيان وتمرُهُ مُباحاً لمن بينَ الديارِ الأضافِرِ

أبحنا حِمى قومٍ وكانَ حماهُمُ حراماً على من رامه بالعساكِرِ [٢]

يؤكد ذلك القعقاع بن عمرو فيقول :

في يوم أغواثٍ فَلَيْلِ الفرسِ
أنخُس بالقَومِ أشدَّ النخسِ
حتى تفيض مَعْشَرِي ونفسِي [٣]

ويعود عاصم بن عمرو فيشير إلى ذل العدو بعد أن كان يعيش في عز ويرفل بالنمارق، فقد هزموا بأيدي رجال جاهدوا في سبيل الله فانتصروا عليهم ودخلوا أرضهم دون أن يفعلوا شيئاً، وقد تحول عيشهم إلى ذل ومهانة ، يقول :

لعمري وما عمري عليَّ بهَيِّنٍ لَقَد صُبِّحَتْ بالخزيِ أهلُ النمارق

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم يجوسونهم ما بين درتا وبارق [٤]

٦ – خوف العدو :

استطاع الشعراء المسلمون أن ينقلوا صور الخوف والرعب الذي عاشه العدو قبل الحرب وبعدها ، وذلك من خلال تصوير الإحساسات الداخلية التي تراود العدو من الرهبة والتحسب لجيوش المسلمين ، وقد أصبحوا في حالة قلقة وهم يراقبون ساعة الحسم ويعلمون شدة المسلمين وقوتهم ، فقد وصف الربيع بن مطرف بن بلخ التميمي خوف العدو عندما أشار إلى قوة جيش المسلمين وتقدمه نحو العدو الذي فر من ساحة المعركة مرعوباً بعدما منعهم المسلمون ماء البحيرة ، عندها وجدوا الخلاص في هربهم خوفاً من بطش المسلمين يقول :

إنا لحلالون بالثغر نحتوى ولسنا كمن هر الحروب من الرعب

منعناهم ماء البحيرة بعدما سما جمعهم فاستهولوه من الرهب [١]

---

[١] - النرسيان : ناحية بالعراق بين الكوفة وواسط ، (معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٨٠) .

[٢] - شعراء إسلاميون ، ص ٦٢ .

[٣] - م . ن ، ص ٤٠ .

[٤] - شعراء إسلاميون ، ص ٦٥ ، درتا : موضع قرب مدينة السلام ،(معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٤٤٩) ، بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، (معجم البلدان ، م ١ ، ص ٣١٩).

وبين عبدة بن الطبيب خوف العدو عندما تذكروا جيش المسلمين أو وصلهم خبر مقدمه بذلك ارتعبوا وخامرهم الخوف والهلع يقول :

فخامر القلبَ من تَرْجِيعِ ذِكْرَتِها رَسٌّ لطيفٌ ورَهنٌ منكَ مكبولُ (٢)

بينما صور القعقاع خوف العدو بعد أن أحيط بهم ومال عرشهم نحو السقوط خوفاً من قوة المسلمين لجبنهم يقول :

حَطَطناهُمُ منها وقد كاد عَرْشُهُم يميل بهم فِعْلَ الجَبانِ المُخالِفِ (٣)

٧ – أسلحة العدو :

حاول العدو أن يسخر كل شيء لأجل النصر ، فعلى الرغم من استخدام السيوف والرماح والدروع والخيول ، استعان العدو الخارجي بالفيلة في الحرب بغية إرباك صفوف المسلمين وتنفير الخيول ، وعليه رسم الشعراء هذه الفيلة بطولها وضخامتها ، وتمنى احدهم أن يملك هذه الوسيلة ليحارب بها العدو وهو بذلك لا يعد نفسه ظالماً أو جباناً (٤) يقول :

اجرد أعلى الجسم منه أضخم يجرُّ ارحاءً ثقالا تحطمُ
ما تحتها من قرضها وتهشم وحنكٌ حين يُمد أفقمُ
ومشفر حين يمد سرطم يرده في الجوف حين يطعمُ
لو كان عندي سبب أو سلم نجيت نفسي جاهداً لا أظلمُ (٥)

لذلك نرى القعقاع الشاعر البطل يصف لنا قوة هذه الفيلة وشدتها ، فهو يرى فيها العجب ، ولو أنه يقابلها بقوة ، وحاول أن يبحث عن مناطق تستفز هذه الفيلة فوجد في طعن أعينها وسيلة جيدة في فرارها من الحرب وفعلاً نجح في ذلك يقول :

فان كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَلَلْتُهُ فإنِّي لألقى في الحروب الدَّواهِيا
فيولاً أراها كالبيوت مُغيرةً أسَمِّل أعياناً لها ومآقِيا (٦)

ويشاركه الفارس الشاعر أبو محجن الثقفي في وصف الفيلة لكنه يختار مشفر هذه الفيلة مكاناً لضربها كي تنفر وتترك ساحة المعركة يقول :

يالَكَ من ذي أَربعٍ ما أَكبَرَكْ لأَعلُوَنّ بالحُسام مِشْفَرَكْ

---

١ - الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

٢ - شعر عبدة بن الطبيب ،تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧١، ص ٥٨ .

٣- شعراء إسلاميون ، ص ٤٢ .

٤ -الامالي في الأدب الإسلامي ، ص ١٥٥ -١٥٦ .

٥ -الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، بيروت،١٩٤٥ ، ج ٧ ، ص ١٧٢.

٦ -شعراء إسلاميون ، ص ٥١ .

فإنْ قُتِلْتُ بعدَها فلي دَرَكْ [١]

ولهذه الفيلة المهابة التي أثرت على الخيول فكانت تهرب منها يقول أبو محجن :

وحتى رأيتُ مُهْرَتي مُزْوَئِرّةً لدى الفْيلِ يَدْمَى نَحْرُها والشواكلُ [٢]

فهو يقول مابرحت حتى رأيت مهرتي مزورَّة من الفيل نافرة ، يدمى نحرها وخاصرتها من الطعن والضرب .[٣]

ووصف عاصم بن عمرو أدوات العدو وأسلحتهم وحيواناتهم يقول :

ألمْ يأتِيكَ والأنباءُ تسري بما لاقيتُ في يومِ الزيالِ
ولما أنْ تزايلَ مقرفوهم عَصيْنا القومَ بالأَسَلِ النهالِ
وعُرِّيَتِ الفُيولُ من الثواني وعُطِّلَتِ الخيولُ من الرحالِ [٤]

٨ – نساء العدو :

للمرأة موقف مناهض للحرب في غالب الأحيان ، فقد تفقد زوجها أحياناً ، أو تقع أسيرة بيد الأعداء ، - عدا ما وجدناه عند بعض النساء المسلمات اللاتي كن يحرضن على القتال والجهاد في سبيل الله – لذلك وجدنا الشعراء المسلمين يصورون نساء العدو من الروم اللاتي فقدن أزواجهن في ساحة المعركة فقد أصبحن مطلقات بفعل رماح المسلمين ، على أن المسلمين عادوا إلى نسائهم يقول علقمة بن الأرث العبسي :

ونحن قفلنا كل واف سبيله من الروم معروف النجاد منطّق
ونحن طلقنا بالرماح نساءهم وأبنا إلى أزواجنا لم تطلّق
وكم من قتيل أرهفته سيوفنا كفاحاً وكف قد أطيحت وأسوق [٥]

وصور القعقاع نساء العدو الباكيات على كسرى بعد مقتله وهرب أعوانه عندما نزلوا ساحتهم بحلوان ودارت تلك المعركة المشهودة وكان النّصر لهم ، والحزن والبكاء لنساء العدو يقول :

وهل تذكرونا إذ نزلنا وأنتُم منازِلَ كسرى والأمورُ جوائلُ
فصرنا لكم رِدْءاً بحلوانَ بعدما نَزَلْنا جميعاً والجموعُ نوازِلُ
فنحنُ الأَلى فُزنا بحُلوَانَ بعدما أَرَنَّتْ على كسرى الإما والحلائلُ [٦]

---

١ - ديوان أبو محجن ، ص ٢٨ .
٢ - م . ن ، ص ٣٢ .
٣ - م.ن ، ص ٣٣ .
٤ - شعراء إسلاميون ، ص ٦٧ .
٥ -الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ١١٠ .
٦ - شعراء إسلاميون ، ص ٤٤ .

وبين الشاعر أبو مفزّر صورة نساء العدو بعد هرب الرجال فأصبحن سبايا فيقول:

وأجلوا عن نسائِهم فَكُنّا بها أولى من الحيِّ الركـــــوكِ (١)

وبين ثانية سبي نساء العدو بعد الفوز في المعركة وهرب الرجال أو قتلهم ، فأصبحن سـبايا بعد عزّ وجاه :

وليلى قد سبيناها جهـــاراً وأروى بنتِ مؤذن في ضروبِ

وريحان الهذيل قد اصطفينا وقلنا دونكم عَلْقَ الذَّنـــــوب (٢)

ب ـ العدو الفردي

١ـ قتل قادة العدو :

تتردد كثيراً أسماء قادة العدو في شعر صدر الإسلام ، هؤلاء القـادة الـذين كـانوا يدبرون شؤون الحرب ، ويحاولون الوقوف بوجه زحف جيش المسلمين الذين يرومون فـتح البلدان ونشر الدين الحنيف ، لذلك سجل الشعر العربي قتل رمـوز الكفـر فـي الفتوحـات الإسلامية وإذلالهم ثم الافتخار بقتل هؤلاء الكفار. (٣) ومن الشعراء الأبطال الذين صوروا قتل قادة العدو ، عمرو بن معد يكرب الذي شارك في معركة القادسية وكان له الشرف فـي قتل احد قادة الفرس يقول :

أَلمِمْ بسلمى قبل أن تظعنـا إنّ بنا من حُبّها ديدنـا

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطَّرَ الفارِسَ إلاّ أنـا

شككتُ بالرمح حيازيمـهُ والخيلُ تعدو زيَماً بيننـا (٤)

فالشاعر هنا يشير على طريقة الشعر الجاهلي في الافتخار بقوته أمـام المـرأة ، ويريـد أن يعلمها بأنه الفارس البطل وهو الذي جندل قائد الفرس في معركة القادسية وارداه قتيلاً عندما ضربه بالرمح ضربة قاصمة من خلال المعركة التي جرت فيها الخيول وتـصارعت فيهـا الفرسان.

ويصرح زهير بن عبد شمس بن عوف بأنه قتل رستما عظيم الفرس بعد أن وصـفه بـالقوة والجاه، وقد فعل ذلك إطاعة لربه الكريم يقول :

أنا زهير وابن عبد شمسِ أرديتُ بالسيف عظيمَ الفرسِ

رُسْتُم ذا النخوةِ والدمقسِ أطعتُ ربي وشَفيتُ نفســـي (٥)

---

١ - م . ن ، ص ١٢٣ .

٢ - م . ن ، ص ١٢٠ .

٣ - البطولة في شعر صدر الإسلام ، عبد الله فتحي الظاهر المشهداني ، رسالة ماجستير ، ١٩٩١ ، جامعـة الموصل ، كلية الآداب ، ص ٥٩ .

٤ - شعر عمرو بن معد يكرب ، ص ١٥٤ -١٥٥.

٥ - فتوح البلدان ، ق ٢ ،ص ٣١٩ .

وفي هذه الحروب كثيراً ما ينشد أحدهم أبياتاً خلال المعركة أو بعدها نتيجة الحماس الذي يغلب على الفرسان فيترجم أعماله البطولية في أشعار يسجلها، من ذلك ما ذكره جابر النخعي عندما ذكر مساعدته لزهير بن عبد شمس وتعاون الاثنان في الإجهاز على رستم قائد جيش الفرس عندما ضربه على رأسه فوقع صريعاً في العجاجة التي أحدثتها سنابك الخيل ، ويشيد الشاعر بمن شارك معه في الحرب على ما قام به ، وهم زهير وعوام وجابر فيقول :

دعاني زهيرٌ والفوارس ترتمي ... إليَّ اليَّ ياابن عم فهل تـــرى ؟
فقلت له لبيكَ عند دعائـــه ... أتيتُك إني قاصد دونك العـــرى
بنفسي أني لا أبالي بحتفها ... بنفسك فاقصد عامداً حيث انتهـى
وأضربه بالسيفِ قِمَةَ رأســـه ... فخرَّ صريعاً في العجاجة قد هـوى
فغادرتُه عبداً لطيرٍ سواغـــبٍ ... وجالت بنا خيلٌ وذو الغدر قد مضى
فذاك رئيس الفرس رستم سَلْ به ... زهيراً وعوّاماً وجابر ذا النهـــى[١]

ويبدو أن مجموعة كبيرة من الفرسان تزاحموا على قتل رستم قائد الفرس ومن هؤلاء أيضاً عمرو بن شأس الاسدي الذي تفاخر في قتل رستم وبنيه الذين بقوا على الأرض والخيل تمر من فوقهم وتثير الغبار عليهم بعدما أصبحوا جثثاً هامدة يقول :

قَتَلْنَا رُسْتُماً وبَنيهِ قَسراً ... تُثيرُ الخَيْلَ فَوْقَهُمُ الهيالا [٢]

وعلى هذه الشاكلة " اندفع المسلمون يطاردون فلول الفرس في أعماق خراسان فظفروا بيزدجرد فانقضوا عليه ليقضوا على إمبراطورية المجوس إلى الأبد ، فقد صور ذلك أبو نجيد إذ رسم لنا منظر الرعب الذي ارتسم على يزدجرد ، كما شبه المجاهدين الذين أحاطوا به بالنمور المتربصة بفريستها " ([٣]) يقول :

وَنَحْنُ قَتَلْنَا يَزْدَجِرْدَ بِبَعْجَـــةٍ ... مِنَ الرُّعْبِ إذْ وَلَّى الفِرَارَ وَغَارَا
غداةَ لَقِينَاهُمْ بِمَرْوٍ تَخَالُهـــم ... نُمُوراً على تلكَ الجِبالِ ونَـارا
قَتَلْناهُمْ في حَرْبَةٍ طَحَنَتْ بِهِم ... غداةَ الرُّزيق إذا أرادَ حِـــوارَا [٤]

ويلاحظ أن الشعراء دائماً يريدون إبراز بطولاتهم في قتل القادة الأبطال رؤوس الأعداء الذين جيشوا الجيوش وساروا نحو الحرب ، وبقتلهم تكون الحرب قد انتهت وانتصروا على العدو ، فهذا قيس بن مكشوح المرادي يصور قتل احد قادة العدو من الملوك

---

[١] - الفتوح ، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ، ط ١، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٣ .

[٢] - شعر عمرو بن شأس الاسدي ،يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٨٧ .

[٣] -الأثر الحضاري في شعر صدر الإسلام ، ص ٨٢ .

[٤] - شعراء إسلاميون ، ص ٩٥ -٩٦ .

يوم القادسية ، فعندما بدأت المعركة سار نحو أحد قادتهم من الملوك ، وعندما تمكن منه ضربه ضربة قاضية بسيفه البتار ، وقضى عليه بعون الله ونصره يقول :

فلما أنْ رأيتُ الخيل جالتْ قَصَدتُ لموقفِ الملكِ الهُمامِ
فاضربُ رأسَه فهوى صريعاً بسيفٍ لا أفلّ ولا كَهامِ
وقد أتْلى الإلهُ هناكْ خيراً وفِعْلُ الخير عند الله نامِ (١)

ومن هؤلاء الشعراء الأبطال القعقاع بن عمرو الذي صور لنا ما فعله بالأعاجم سنة ثلاث عشرة هجرية ، عندما قتل قائدهم روزمهر الذي لم يستطع مقاومة جيوش المسلمين بل خارت قواه وارجف فكان نصيبه القتل يقول :

أَلَمْ يَنْهَ عنا حيّ فارسَ إننا منعناهُم من ربعِهِم بالصوارِم
إنا أناسُ قد نُعَوِّدُ خيلَنا لقاء الأعادي بالحتوف الفواطِمِ
ورُوزَ قَتَلنا حيثُ أُرجفَ خدُّهُ وكلُّ رئيسٍ رازنَا بالعظائمِ (٢)

وكثيراً ما صور الشعراء المسلمون قتلهم قادة العدو ، وتركهم " للنسور الحائمات بفضل سيفه القاطع ، وهذا عمرو بن معد يكرب يقتل القائد الفارسي يوم القادسية فيفاخر بشجاعته وحمايته وبساعده الذي يحمل سيفه الصمصام الذي يقطع به رؤوس الأعداء " (٣) يقول :

لقد علمت خيلُ الأعاجم أنّني أَنا الفارسُ الحامي إذا الناس أحجموا
واني غداة القادسية إذ أتوا بجمعهم ليثٌ هصورٌ غَشَمْشَمُ
شَدَدَتُ على مهران لما لقيتهُ بكفّي صمصام العقيقة مِخذَمُ
فغادرته يكبو لحُرِّ جبينهِ عليه نسورٌ واقفاتٌ وحُوَّمُ (٤)

٢ – هزيمة قادة العدو :

كان العدو – دائماً - يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة ، عكس المسلم الذي يجاهد لينال إحدى الحسنيين ، فالقائد الذي يهتم بكل شؤون الحرب وقيادة الجيش ، إذا ما واجه موقفاً صعباً وعلم أنه سيقتل أو يؤسر ، نراه يؤثر الفرار والخلاص بنفسه ، هذه الظاهرة لاحظها الشعراء المسلمون وأظهروها لبيان تفكك جيش العدو ومبادئه ، من ذلك قول عمرو بن شاس الاسدي الذي صور فرار البيرزان الذي لم يدافع عن كتيبته وكان بفراره أن تشتتت كتيبته بين قتيل وجريح ومهزوم ،بعد فرار الهرمزان على فرسه خوف القتل ، يقول :

وَفَرَّ البيرزَانُ ولم يُحَامِ وكانَ عَلَى كَتِيبته وَبَالا

---

١ - فتوح البلدان ، ق ٢ ،ص ٣٢٠ .

٢ -شعراء إسلاميون ، ص ٤٨ .

٣ - البطولة في شعر صدر الإسلام ، ص ١٢١ .

٤ - شعر عمرو بن معد يكرب ، ص ١٨٤ .

ونَجَّى الهُرْمُزانَ حِذَارُ نَفْسٍ وَرَكضُ الخيلِ مُوصِلَةً عِجَالا [١]

وفي معارك الشام يتقدم جيش المسلمين جنوب الشام ويفتحون اجنادين ، بعد معركة عنيفة، قُتِل فيها ثمانون الفاً من جنود الروم ، ينهزم قائدهم (الارطبون) إلى بيت المقدس طالباً النجاة ، تاركاً جيشه بين قتيل تحوم عليه النسور، وقد انقطع أثرهم عن الشام وانهزم الباقون نحوه، وكان زياد بن حنظلة مقاتلاً في جيش المسلمين، فصور بشعره تلك الأحداث حيث قال:

ونحن تركنا أرطبون مطّـــــرداً إلى المسجد الأقصى وفيه حسورُ
عشية أجنادين لما تتابعـــــوا وقامتْ عليهم بالعراء نســـــور
عطفنا له تحت العجاج بطعنـــة لها نَشجٌ نائي الشهيق غزيـــــرُ
فطمنا به الروم العريضة بعـده عن الشام أدنى ما هناك شطيـــرُ
تولت جميع الروم تتبع إثـــره تكاد من الذعر الشديد تطيـــــرُ
وغودر صرعى في المكرّ كثيرهُ وعاد إليه الفلُّ وهو حسيـــــــرُ[٢]

وكان القعقاع يتابع الفيرزان عندما أوقع هو ومن معه من القبائل المجاهدة بالفرس هزيمة منكرة في خندق نهاوند المسمى واد خرّد ، حيث قال :

ويوم نهاوند شهدت فلم أخِمْ وقد أحسنَتْ فيه جميعُ القبائلِ
عَشِيَّةَ وَلَّى الفيرزانُ مُوايلا إلى جبلٍ آبٍ حذارَ القواصِـلِ [٣]

ويقول في بيت آخر إن فرار الفيرزان بين الجبال والتخفي بين الأحجار لم تنجه من جيوش المسلمين الذين تتبعوا إثره :

وراكَضَهُنَّ الفيرزانُ على الصفا فلم ينجهِ منها انفساحُ المخارِمِ [٤]

كذلك صور أبو نجيد كسرى ملك الفرس بعدما اقتربت منه جيوش المسلمين وأحس أن الخطر قريب منه و لم يستطع الخلاص من متابعة الجيوش له حتى وصلوا إليه واردوه قتيلاً ، يقول:

---

[١] - شعر عمرو بن شاس الاسدي ، ص ٨٧ .
[٢] - معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٠٤ .
[٣] -شعراء إسلاميون ، ص ٤٥ .
[٤] -م .ن ، ص ٤٨ .

سمونا إلى كسرى فولّى مبادراً بمعشره إذا أصبح الصدع أضخما [1]

وأخيراً نستطيع القول أن شعراء صدر الإسلام قد ذكروا كل ما يتعلق بالعدو وأعطوا صورة واضحة لجيشه وقتلاه وهزيمته وتفرقه وغدره وكان ذلك من الأمور الواضحة التي مهدت لاتساع دولة الإسلام بعد حروب ومعارك كثيرة ضد العدو الذي استسلم في آخر الأمر ومن ثم انتشر الإسلام في تلك الاصقاع البعيدة بفضل الأبطال المضحين بأرواحهم والذين سجلوا تلك المآثر ووصفوا أحوال العدو فيها ....

المصادر والمراجع

- القران الكريم .
- الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينوري (ت ٣٨٢ هـ)، تحقيق : عبد المنعم عامر، مراجعة : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ط ١، ١٩٦٠ .
- الأدب في عهد النبوة والراشدين - صلاح الدين الهادي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٧ .
- الإصابة في تمييز الصحابة - شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، بغداد ، ط١ ، ١٣٢٨ هـ .
- الأمالي في الأدب الإسلامي – د . ابتسام مرهون الصفار ، بغداد ، ١٩٩١ .
- تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي -شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٩، ١٩٨١.
- تاريخ الرسل والملوك -أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون ، بيروت، ط ١ ،١٩٤٥ .
- دراسات في الأدب العربي - باقر عبد الغني ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٦ .
- ديوان أبي محجن الثقفي - صنعة أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، نشر : صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ط١ ،١٩٧٠ .
- ديوان الشماخ بن ضرار - تحقيق : صلاح الدين الهادي ، مصر ، ١٩٦٨ .
- شعراء إسلاميون – د . نوري حمودي القيسي ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٤ .
-شعر عبدة بن الطبيب – جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧١ .
- شعر عمرو بن شأس الاسدي – جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٦ .
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي - جمع وتحقيق : مطاع الطرابيشي ،دمشق ،١٩٧٤.
- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام - النعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة، ١٩٦٥.

[1] - م . ن ، ص ١٠٢ .

- الفتوح - أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو سنة ٣١٤ هـــ) ، بيــروت ، ط ١، ١٩٨٦ .

- فتوح البلدان - احمد بن يحيى بن جابر المعروف بــالبلاذري (ت ٢٧٩ هـــ)، نــشره ووضع ملاحقه وفهارسه : الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

- معجم البلدان - شهاب الدين أبي عبد الله بن ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغــدادي (ت ٦٢٦ هــ) ، بيروت ، ١٩٧٥ .

الأطاريح والرسائل الجامعية

- الأثر الحضاري في شعر صدر الإسلام - نهى محمد عمر ، رسالة ماجستير ، بإشــراف الأستاذ المساعد الدكتور علي كمال الدين الفهادي ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٩.

- البطولة في شعر صدر الإسلام - عبد الله فتحي الظاهر المشهداني ، رســالة ماجــستير ، بإشراف الأستاذ الدكتور حازم عبد الله خضر (رحمه الله)، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩١ .

- الحياة والموت في شعر صدر الإسلام ، نهى محمد عمر الدليمي ، أطروحــة دكتــوراه ، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور ميسر حميد سعيد ، جامعــة الموصــل ، كليــة الآداب ، ٢٠٠٤ .

- صورة العدو الإفرنجي في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري - فواز احمد محمد صالح الطائي، رسالة ماجــستير ، بإشــراف المــدرس الــدكتور يــونس طركــي ســلوم البجاري،جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ٢٠٠٢.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.